المحاضرة الأولى: مدخل عام إلى الفلسفة اليهودية:

1- الفلسفة اليهودية: سعيا وراء التعريف.

أ – في تعريف الفلسفة اليهودية:

التعريف البسيط للفلسفة اليهودية هي التقاء الفلسفة بالديانة اليهودية أو لنقل التقاء العقل اليوناني مع الوحي اليهودي فحدث تفاعل بينهما وكنتيجة لذلك ظهرت مسائل فكرية جديدة تعنى بعلاقة الوحي مع العقل فأنتج لنا ما نسميه بالفلسفة اليهودية. زمنيا ظهرت في العصر الهلينيستي période hellénistiqueحين تمت أول ترجمة للتوراة من العبرية إلى اليونانية والتي تعرف بالترجمة السبعينية (نسبة إلى عدد مترجميها الاثني والسبعين) لتمتد إلى يومنا هذا مرورا بالعصور الوسطى والعصر الحديث والمعاصر. والفلسفة اليهودية لا تختلف عن الفلسفة المسيحية والفلسفة الإسلامية فكلها تعبر عن ذلك الاحتكاك الذي حدث بين الفلسفة اليونانية من جهة والدين الموحى من جهة أخرى، وكلها عرفت هذه العلاقة الشائكة بين العقل والإيمان، وكلها عالجت بالتقريب مسائل متشابهة تدور حول: الله- الكون- الإنسان.

لكن هناك من يشك في مكانة هذه الفلسفات المقترنة بالديانات التوحيدية ومشروعيتها حيث تعتبر أن تسمية الفلسفة اليهودية أو الفلسفة المسيحية أو الفلسفة الإسلامية تحمل في ذاته تناقضا لأن ميدان اشتغال كل من الفلسفة والدين مختلف تماما من حيث المصادر الفكرية والأدوات المعرفية التي يستعملانها، بالإضافة إلى ذلك نجد أن هناك من يعتبر أن هذه الفلسفات لم يكن يهمها البحث عن الحقائق بوسائلها بل وفق ما يحده الدين، ولم يكن غايتها البحث عن الحقيقة في ذاتها وإنما توظيف الفلسفة من أجل خدمة الدين وذلك من خلال الدفاع عن المعتقدات والحقائق التي أقرها الدين وهذا ما يعتبره البعض على أنه يتنافى مع حرية التفكير الفلسفي. ولهذا فإن من يقول بوجود الفلسفة اليهودية أو المسيحية أو الإسلامية كمن يقول بأن هناك دائرة مربعة على حد قول الفيلسوف الألماني مارتن هيدجر، فكما أنه لا توجد دائرة مربعة فإنه أيضا لا وجود لشيء أسمه الفلسفة اليهودية أو المسيحية أو الإسلامية. إلا أن هناك من لا يرى حرجا في هذه التسميات ويؤكد على مشروعيتها شريطة أن نراعي الخصائص والقضايا الفكرية التي

تتميز بها، لأن هذه الفلسفات جاءت لتجيب على مشكلات ومسائل فكرية طرحتها تلك المرحلة وما كان لهذه الفلسفات سوى التقاط روح عصرها الذي كان متمثلا في الدين.

ب– هل هناك فلسفة يهودية؟

فيما يتعلق بإشكالية وجود فلسفة يهودية جديرة بهذه التسمية من عدمها، فإنه يمكن التمييز بشأن ذلك بين موقفين: الأول يعتبر أنه لا وجود لإبداع فلسفي يهودي يمنح الشرعية للحديث عن وجود فلسفة يهودية خالصة، لأن ما أنتجه الفكر اليهودي ما هو إلا نتيجة احتكاكهم بالثقافات الأخرى، وأن ما يسمى بالفلسفة اليهودية ما هي إلا ترديدا واعادة صياغة للفلسفة اليونانية والإسلامية. وقد برّر الجاحظ افتقار الفكر اليهودي للإبداع الفلسفي إلى موقف هذا الفكر اليهودي ذاته من الفلسفة الذي يعتبرها من العلوم المحرمة وأن العلوم الجديرة بالبحث والدراسة هي فقط الكتب المقدسة. أما من المحدثين فنشير في هذا الموقف إلى رأي حسن حنفي الذي اعتبر أن الفلسفة اليهودية في المرحلة العربية ما هي إلا بنت الفلسفة الاسلامية وصورة عنها، وإذا كان حسن حنفي ينفي الأصالة والابداع عن الفلسفة اليهودية فإنه يؤكد أن وضعها شبيه بالفلسفة الاسلامية التي حتى وإن تأثرت بشكل كبير بالفلسفة اليونانية واستعارت منها مفاهيمها إلا أنها وظف هذه المفاهيم للتعبير عن مضامين جديدة لم تكن موجودة في الفلسفة اليونانية، كذلك الأمر بالنسبة للفلسفة اليهودية التي حتى وإن تأثرا بدورها بالفلسفة الاسلامية واستعارة منها تلك المضامين الجديدة إلا أنها حاولت التعبير عنها وفق منظورها وأفقها المعرفي اليهودي.

أما الموقف الثاني فإنه يرى أن الفلسفة اليهودية هي فلسفة أصيلة وطرحت قضايا جديدة حتى قبل ظهور الفلسفة الاسلامية، ويذهب هذا الموقف إلى رأي مضاد للأول حيث يعتبر أن حركة التفلسف بصفة عامة وعلم الكلام عند المعتزلة بالخصوص لم يكن ليظهر لولا تأثير مثقفي اليهود على المعتزلة، وأن القضايا المتعلقة بالعدل ونفي التشبيه وتنزيه الذات الالهية وخلق القرآن وغيرها من المسائل تعود في الأصل إلى التراث اليهودي، ويعد اليهودي لبيد بن الأعصم الأول الذي طرح هذه الآراء، ومن مدافعي هذا الموقف نجد من المسلمين الشيخ الذهبي ومن اليهود المحدثين اسحاق هوزيك.

ج – في هوية الفلسفة اليهودية:

تطرح الفلسفة اليهودية إشكالية أخرى حول هوية الفلسفة اليهودية ومنه هوية الفيلسوف اليهودي، فهل يكفي أن يكون الشخص يهوديا ويشتغل في الفلسفة حتى يحسب على الفلسفة اليهودية؟ مبدئيا الانتماء اليهودي شرط ضروري وأساسي لأي فيلسوف حتى يحسب على الفلسفة اليهودية. لكن المشكل أن هناك فلاسفة انتمائهم يهودي لكن فلسفاتهم لا تهتم بالقضايا والمسائل الدينية لليهود بل نجد فلسفاتهم عالمية تهتم بالنوع وليس بالعرق أو بالديانة.

في هذه المسألة هناك مقاربتان للفصل في هوية الفلسفة اليهودية والانتماء إليها: الأولى تهتم بالمضمون والثانية تهتم بالشكل. فأما المقاربة المضمونية: ترى أنه لا يكفي الانتماء اليهودي للفيلسوف حتى تكون فلسفته يهودية بل ينبغي أن يكون مضمون فلسفته ذاته يعالج قضايا من رحم التراث الديني اليهودي، ولا يكفي ذلك فقط بل ينبغي أن تكون على وفاق معه، وهذه المقاربة التي تبني موقفها على أساس المضمون الفكري تستبعد الكثير من الفلاسفة أمثال سبينوزا وماركس وبرغسون وغيرهم كثر على الرغم من أنهم يهود هذا لأن مضمون فلسفاتهم لا يتوافق مع التراث والديانة اليهودية.

أما المقاربة الشكلانية: فتعتقد أن الاهتمام بالمضمون يُضيق من نطاق الفلسفة اليهودية ويجعلها إقصائية بحكم أنها تفترض أن للفلسفة اليهودية ماهية خاصة بها وهذا ما يجعلها منغلقة على ذاتها. لهذا جاءت المقاربة الشكلانية لتلطف من الرؤية الصارمة والمنغلقة للمقاربة المضمونية. وتنقسم المقاربة الشكلية بدورها إلى قسمين: الشكلانية القصوى والشكلانية المعتدلة، فأما الأولى فتعتبر أن كل فيلسوف ينتمي إلى اليهودية فهو يُحسب على الفلسفة اليهودية بغض النظر عن أفكاره الفلسفية سواء كانت متعارضة أو مدافعة، محلية تهتم بالخصوصية اليهودية أو عالمية تهتم بالجنس البشري، فما يهم فقط هو الانتماء إلى الديانة اليهودية، أما المعتدلة: فهي ترى أن الانتماء اليهودي مهم جدا لكن ذلك لا يكفي لاعتباره ضمن الفلسفة اليهودية لأنه يمكن أن يعلن الفيلسوف في نهاية حياته أنه يهودي أو ربما يتخلى عن يهوديته ويتبنى ديانة أخرى فهل يمكن، تبعا لذلك، اعتبار أفكاره السابقة ضمن الفلسفة اليهودية؟ لهذا تشترط الشكلانية المعتدلة أن يكون السياق الذي تشكلت فيه أفكار الفيلسوف سياقا يهوديا، والفرق بينها وبين المقاربة المضمونية هي أن هذه الأخيرة تهتم بالمضمون؛ أي أن المضمون ينبغي أن يكون يهوديا، والمعتدلة تهتم بالسياق؛ أي أن السياق الذي نشأت فيه تلك الأفكار ينبغي أن يكون يهوديا.

2- مراحل الفلسفة اليهودية:

مرت الفلسفة اليهودية بمراحل مفصلية مهمة منذ نشأتها، يقسمها أغلب المؤرخين والدارسين إلى ثلاث مراحل هي:

أ-المرحلة اليونانية (العصر الهلينيستي): وتمثل مرحلة النشأة، وكان للثقافة اليونانية في تلك المرحلة دور كبير في انبثاق الفلسفة اليهودية وهذا نتيجة الاحتكاك بين الثقافة اليونانية العقلانية الوثنية والثقافة اليهودية التوحيدية. وقد عبرت الفلسفة اليهودية عن أفكارها باللغة اليونانية. ومن أشهر فلاسفة اليهود في هذه المرحلة: فيلون الاسكندري(20 ق م إلى 40م).

ب-المرحلة العربية الإسلامية (العصور الوسطى):كان ظهور الفلسفة اليهودية في هذه المرحلة متزامنا مع ظهور الفلسفة الإسلامية (ق 9-10) حيث تأثر فلاسفة اليهود كثيرا بالفلاسفة المسلمين أمثال الكندي والفارابي وابن سينا وبالخصوص ابن رشد. ومن أشهر فلاسفة هذه المرحلة نذكر: ابن جبريل وموسى بن ميمون. وكانت لغة الفلسفة اليهودية في هذه المرحلة هي العربية.

ج-المرحلة الحديثة والمعاصرة (بالخصوص المثالية الألمانية): في هذه المرحلة عرفت الفلسفة اليهودية شخصيات فلسفية مشهورة تمتد من القرن 17 و18 و19 إلى غاية القرن العشرين. روادها فلاسفة يهود لكن أفكارهم لم تكن يهودية خالصة بل كانت عالمية. حيث امتزجت بعدة مذاهب وتيارات فلسفية مثل المثالية، الفينومينولوجيا، الشخصانية، الوجودية، التأويلية التحليلية...إلخ وأشهر ممثليها: باروخ سبينوزا، موسى مندلسون، سامسون رفيال، فرانز روزسويغ، جيشوم شولم...إلخ.

3- المصادر الفلسفية والدينية للفلسفة اليهودية:

أ-المصادر الدينية:

لا يمكن الحديث عن الفلسفة اليهودية دون التطرق إلى مصادرها الدينية وهما التوراة والتلمود، والعودة إلى هذه المصادر تستدعيه الضرورة العلمية والموضوعية في البحث. فلا يستوي الأمر ولا تستقيم دراستنا إن لم نتعرف على

هذه المصادر الدينية التي تقوم عليها الفلسفة اليهودية، لأن هذه الأخيرة في نهاية المطاف هي محاولة للتوفيق بين العقل والدين، ومعرفة مصادر هذا الدين يساعدنا على فهم طبيعة العلاقة بينهما. ولن نتطرق إلى مضمون التوراة والتلمود في المحاضرة بل نكتفي بالإشارة إليهما فقط لأننا سنخصص حصص التطبيق لدراسة وتحليل مضمون كل من التوراة والتلمود والتطرق إلى سياقاتهما التاريخية والفكرية والثقافية. كما سنخصص بعض البحوث لدراسة تاريخ الشعب اليهودي منذ القديم إلى يومنا هذا وهذا حتى تكون حصص التطبيق في تكامل مع حصص المحاضرات.

التوراة: لغويا تعني التعليم والشريعة، ويقصد بها فرائض الله وشريعته. وتشتمل على الأحكام الموروثة والمعمول بها عرفا وهي غير مدونة، أما التي لها أصل مكتوب هي أسفار موسى الخمسة وهي: سفر التكوين الذي يروي لنا قصة بدء الخلق والأصول الأولى للبشرية، وسفر الخروج ويروي لنا قصة خروج موسى وأتباعه من مصر، وسفر اللاويين ويحتوي على أخبار ذرية لاوي وطقوس الكهنة، وسفر العدد ويتضمن إحصاء بني إسرائيل وأخيرا سفر التثنية وهي تكرار وتأكيد الشرائع الموسوية على بني إسرائيل.

وهناك أسفار أخرى تم إضافتها بعد موسى وهي نوعان:

- **أسفار الأنبياء** وتروي لنا تاريخ العبرانيين بعد موسى وتضمن قصص الأنبياء. وتنقسم أسفار الأنبياء بدورها إلى قسمين: أسفار الانبياء المتقدمين، وأسفار الأنبياء المتأخرين. أما أسفار الأنبياء المتقدمين فتشمل الأسفار التالية: يشوع(يوشع بن نون)، قضاة، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، الملوك الأول، الملوك الثاني. أسفار الأنبياء المتأخرين وتشمل الأسفار التالية: إشعيا، ارميا، حزقيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عويديا، يونان (يونس)، ميخا، ناحوم، حبقوق، حجى، زكريا، ملاخي.
- **أسفار الكتابات** وتتضمن الحكم والأمثال الشعبية والأشعار والمزامير. وتنقسم هذه الأسفار إلى ثلاثة أقسام:
  - الكتب العظيمة وتشمل الأسفار التالية: المزامير(الزابور)، الأمثال (أمثال سليمان)، أيوب.
  - المجلات الخمس وتشمل الأسفار التالية: نشيد الأناشيد، راعوث، المراثي(مراثي ارميا)، الجامعة، أستير.
  - الكتب وتشمل على الأسفار التالية: دانيال، عزرا، نحميا، أخبار الأيام الأول، أخبار الأيام الثاني.

كل هذه الأسفار مجتمعة والتي يبلغ عددها تسعة وثلاثون (39) سفرا تسمى بالعهد القديم. وتجدر الاشارة إلى أن هناك اختلافا بين الطوائف اليهودية في عدد هذه الأسفار فهناك طوائف تضيف إليها أسفار أخرى، وأخرى لا تعترف ببعضها. أما بشأن مصادر العهد القديم فهي أسفار تشكلت من عدة مرجعيات قديمة مثل: الوهم والخيال، التراث السومري، الفكر المصري القديم، الفكر البابلي، الفكر الفارسي، وتشريعات حمورابي.

1 **التلمود**: وهو المصدر الثاني للتشريع اليهودي ويضم مجموعة من الأحكام والشروحات الفقهية التي قام بها الحاخامات المستمدة من العهد القديم، ويقال أنها الشريعة الشفوية التي تركها موسى. وتضم قسمين: المشنا وهي تفسير للتوراة، والجمارا: وهي شرح للمشنا، ويعد التلمود كتابا مقدسا عند اليهود وحتى وإن إن ألفه الحاخامات هذا لأنه كتب بوحي من روح القدس.

أقسام التلمود: يتكون التلمود من ستة مباحث تسمى سدريم ومفردها سدر وهي:

- قسم الزرعات أو البذور(زراعيم): تتناول القوانين الخاصة بالزراعة ومواعيد الحرث والجني.
- قسم المواسم والأعياد (موعيد): يتناول الأعياد وطقوسها ومواعيدها، وكذا الاحتفالات الدينية.
- قسم النساء (نشيم): يتعلق بقوانين الزواج والطلاق وتنظيم العلاقات الزوجية عموما والنذور وحلف اليمين وكيفية الوفاء بها أو التكفير عن اخلال الأداء بها.
- قسم الأضرار (نزيقين): يتضمن القوانين والأحكام المدنية والجزائية المترتبة عن الأضرار والتعويضات والخسائر.
- قسم المقدسات (قداشيم): يختص هذا القسم بموضوع المقدسات والقرابين المتعلقة بالهيكل وطقوس وشعائر تقديمها، كما يتناول أيضا الأمور المتعلقة بالذبح وشروطه وما يحل أكله وما يحرم.
- قسم الطهارات(طهروت): يتعلق هذا القسم بموضوع الطهارة والنجاسات.

ب– المصادر الفلسفية:

1 – الفلسفة اليونانية: لقد كان للفلسفة اليونانية دورا كبيرا في انبثاق الفلسفة اليهودية، ويمكن القول أنه لم يكن لهذه الفلسفة أن تظهر لولا احتكاك اليهود بالفكر اليوناني الوثني في المرحلة الهلينستية، حيث سمح هذا الاحتكاك

بين الفلسفة التي تمثل التفكير العقلي والمنطقي والدين اليهودي الذي جاء بحقائق مطلقة مصدرها الوحي بظهور فلاسفة يهود أمثال فيلون الاسكندري.

3- **الفلسفة الإسلامية**: الفلسفة الاسلامية أيضا بدورها لها تأثير كبير في ظهور فلاسفة يهود جدد وكذا قضايا جديدة في الفكر الفلسفي اليهودي. حيث تعد رسائل اخوان الصفا الأرضية التي بنى عليها العديد من الفلاسفة اليهود فلسفاتهم أمثال : يوسف بن الصديق و سليمان بن جبريل وموسى بن عزرا...وعلى فلسفة الغزالي تلميذ الميموني ويهوذا اللاوي واسحق البلج...وكان للقرآن تأثير كبير أيضا على فرق القبالة والحصيدية والشباتية وعلى المصطلحات التي تستخدمها، وتشكلت الفلسفة العقلية عند الفلاسفة اليهود أمثال موسى بن ميمون وباهي بن باقودة من خلال احتكاكاهم المباشر بالفلسفة الاسلامية وثقافتها أو من خلال الترجمات التي قام بها بعض المترجمين اليهود أمثال الحريزي وكالومينوس وابن طبون الذين ترجمو ابن باجة الذي كان تأثيره كبيرا على الفكر اليهودي. كما أن فلسفات الفرارابي والكندي وابن سينا والسهروردي كان لها عظيم الأثر في فلسفات العديد من الفلاسفة اليهود...هذا التأثير لم يكن فقط على المستوى الفكري وإنما أيضا تعدى إلى تبني اللغة العربية كأداة للتعبير عن أفكارهم الفلسفية لأن العبرية إلى ذلك الزمن لم تكن تسعفهم في التعبير عن أفكارهم.